

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً نافعاً اللهم اغفر لنا ولشيخنا أجمعين

قال المصنف شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في كتابه [كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد]

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين)، وقال (والذين هم بربهم لا يشركون) عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير قال: من منكم رأى الكوكب الذي انقض الباردة فقلت أنا، ثم قلت: أما آني لم أكن في صلاة ولكني لدغت، قال: فما صنعت قلت ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك، قلت: حديث حدثناه الشعبي قال وما حدثكم قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال لا رقية إلا من عين أو حمة قال قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلين، والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض النبي ﷺ فدخل منزله فخاض الناس في أولئك فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله طبعاً وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يسترقون، ولا يكتنون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادعوا الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال: ادعوا الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال المصنف - رحمه الله تعالى -:-

◊ قال باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب:

هذا من حسن ترتيب المصنف فإنه:

- عقد أولا كتاب التوحيد لبيان حقيقة التوحيد وماهيته
- ثم ثنى بعقد باب في ذكر فضله فعقد باب في فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب،
- ثم ثلث بهذا الباب لبيان أن المقصود الذي له ذلك الفضل التوحيد المحقق فهو الذي تترتب عليه الفضائل العظيمة

إذا أراد المصنف بهذا الباب أن يبين أن ذلك الفضل المشار إليه فيما تقدم إنما يناله من حقق التوحيد فقال باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب،

◊ واستدل فيه بقول الله تعالى ((إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين))

هذه الآية في معرض الثناء على إبراهيم - عليه السلام - وقد تقدم معنا كثيرا منزلة هذا النبي الحنيف الموحد الذي أخلص قلبه لله - عز وجل - حتى بلغ الدرجات العلى

وهو إبراهيم - عليه السلام -: إمام الموحدين في الأولين، وكان من توحيد لرب العالمين أن فرغ قلبه لله فكان خليل له ولا أدل على ذلك من أنه جاد بنفسه حين ألقاه قومه في النار وكان يقول حسبي الله ونعم الوكيل حتى أنجاه الله تعالى من النار لما علم صدق توحيد وإيمانه،

ومن عجيب أمره أن الله تعالى ابتلاه في أحب الناس إليه وهو ابنه الذي آتاه على حين كبر فأراه في المنام أنه يذبحه أراد الله أن يبتليه ليختبر أيقدم محبة الله على محبة الولد أم الأخرى؟ فقال: (قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني - إن شاء الله - من الصابرين) فلا تدري أتعجب من الأب أم تعجب من الابن وهو لم يرد بذلك استشارة ابنه وإنما أراد التلطف له في العرض قال الله تعالى: (فلما أسلما وتله للجبين) أي كما يصنع من يريد أن يزكي الشاة (وناديناه أن يا إبراهيم)

لم يكن مراد الله - عز وجل - تعذيب هذا العبد الصالح، ولا إزهاق الروح، ولا إسالة الدماء ولكن أراد الله تعالى أن يخرج ما في قلبه من العبودية فنجح في الاختبار ورأى الله تعالى منه ما يستحق لهذه الخلة فكان خليل الرحمن فقال الله عنه: (إن إبراهيم كان أمة قانتا)

ما معنى أمة؟ أمة هنا أي إمام، وكلمة أمة ترد في اللغة وفي القرآن العظيم على أنحاء متنوعة تعرفون منها شيئاً:

- ترد أمة بمعنى الزمن ما مثاله (وقال الذي نجا منها وادكر بعد أمة) يعني تذكر بعد مرور زمن،
 - وتأتي أمة بمعنى قوم وجماعة ما مثاله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)،
 - وتأتي بمعنى الدين (إنا وجدنا آباءنا على أمة) طيب ماذا أيضاً هل بقي من معانيها شيء طيب
 - وتأتي بمعنى الإمام كما في هذا الموضع (إن إبراهيم كان أمة قانتا)
- إذا هذه أربعة أوصاف وصف بها الله تعالى إبراهيم الأول الإمامة في الدين ولا شك أنه قد بلغ منها المراتب العلى،

واعلموا أن الإمامة في الدين تنال بالصبر واليقين: تنال الإمامة في الدين ما الدليل على ذلك؟

(وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)

فإذا أردت الإمامة في الدين ولو كانت إمامة نسبية فعليك بالصبر واليقين فإنه ما من إمام إلا وبيتلى لابد أن يبتلى فاعتصم بالصبر واليقين بالله - عز وجل -

الوصف الثاني: قانتا: والقنوت هو طول العبادة ودوام الطاعة وقد كان كذلك

وذلك أن العبادة لا تكون عبادة حقة صادقة إلا بالديمومة، أما صاحب الهبات فليس له ثبات، وأحب العمل إلى الله أدومه وان قل وكان عمل نبينا ﷺ ديمة يعني مستديم فمن شأن الأئمة الهداة أن يكونوا مستديمي الطاعة لله - عز وجل - وقد كان إبراهيم - عليه السلام - كذلك (قانتا لله) وهذا دليل الإخلاص

(حينفاً): كما تقدم معنا أي مائل عن طريق الشرك إلى طريق التوحيد فهو لا يجيد يمينة ويسرة عن طريق التوحيد بل يجيد عن طريق الشرك إلى طريق التوحيد إذا من وصفه تحقيق التوحيد - عليه السلام - وهذا لاشك أنه يحصل به من الثواب والرفعة أعظم مما يحصل بالأعمال البدنية والعبادات العملية .

الوصف الرابع: أي البراءة من المشركين

(ولم يك من المشركين): كان إبراهيم - عليه السلام - أكثر الناس مجانبة للمشركين يقول ربنا - عز وجل - : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده)

ولما كان قد بقى على إبراهيم بقية في هذا الأمر وهي قوله (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) نهاه الله - عز وجل - عن ذلك وقال (وما كان استغفار لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حلیم)

فقد ضرب إبراهيم - عليه السلام - أروع الأمثلة في الإخلاص لله - عز وجل - والبراءة من أعداء الله فلهذا نال الإمامة في الدين (ولم يك من المشركين)

◆ فهذه الآية مناسبة جدا لهذا الباب

لأن فيها بيان صفات خليل الرحمن التي نال بها الدرجات العلى وهو تحقيق التوحيد والله تعالى قد أمرنا أن نتأسى به (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم)

◆ ونستفيد من هذا الآية:-

- فضل إبراهيم - عليه السلام - ولا ريب، وإمامته في الدين

- نستفيد منه الاقتداء نستفيد من هذه الآية الاقتداء بهذه الصفات العظيمة التي اتصف بها إبراهيم - عليه السلام

- نستفيد منها أيضا البراءة من المشركين وأن من شأن المؤمن الحنيف أن يجانب أهل الإشراك كما قال نبينا ﷺ عن المؤمن والكافر " لا تتراءى ناراهما " يعني كناية عن البعد يعني نار هذا لا تصب نار هذا، وقال ﷺ فيما روى عنه بسند جيد (أنا بريء من كل مسلم يبيت بين ظهراني المشركين) ففي قلب المؤمن نفرة طبيعية ممن يشرك بالله العظيم لا تطيب نفسه أن يخالط ويهاج ويساكن، ويؤاكل، ويضاحك، ويسامر هؤلاء الذين يعتقدون أن الله ثالث ثلاثة أو يعبدون الأصنام والأوثان لا تطيب نفسه بهذا ولا يرضى

◆ وقال: (والذين هم بربهم لا يشركون):-

هذه هي الآية الثانية التي تدل على تحقيق التوحيد وذلك أن الله سبحانه وتعالى أثنى على طائفة من عباده المؤمنين فكان من جملة أوصافهم هذا الوصف البديع (والذين هم بربهم لا يشركون) فدل ذلك على أن البراءة من الشرك من أعظم أسباب تحقيق التوحيد

◆ - ويستفاد منها: ما استفيد من الآية قبلها

ثم بعد ذلك ذكر حديثاً أو قصة رواها البخاري ومسلم وغيرهما وفيها فوائد عدة نتناول هذا الحديث بالتفصيل .

◊ قال - رحمه الله تعالى - : عن حصين ابن عبد الرحمن:

"حصين ابن عبد الرحمن" : هذا هو أحد التابعين وهو حصين بن عبد الرحمن السلمي بل هو من تابعي التابعين إذ كانت وفاته سنة إحدى وثلاثين بعد المائة وكان قد عمر حتى جاوز التسعين،

قال: كنت عند سعيد بن جبير

"وسعيد بن جبير" : إمام فقيه ثبت ثقة أحد أكابر تلاميذ ابن عباس - رضي الله عنهما - وقتله الحجاج ابن يوسف الثقفي سنة خمس وتسعين لما خرج مع الفقهاء في قصة بن الأشعث فكان أن قبض عليه وقتله صبراً وتوفي - رحمه الله - وهو لم يبلغ الخمسين مع أنه ملئ الدنيا حديثاً - رحمه الله - ، قال: قلت عند سعيد بن جبير أيكم رأى الكوكب

"الكوكب" : المراد به النجم وهى هذه الشهب التي تلمع في السماء بين فينة وأخرى فتسمى تجوزاً كوكب وان كان الكوكب الآن في عرف الناس أو في عرف أهل الفلك يطلق على الأجرام السماوية الكبيرة الأرض والقمر والمشتري وزحل هذه تسمى كواكب بينما يسمون الأشياء الملتهبة يسمونها نجوم كالشمس قال أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟

والمقصود بالقبض: يعني هوى وسقط

والبارحة: هذا اسم يطلق على الليلة التي مضت ولكنه لا يعبر بهذا التعبير عند العرب إلا بعد الزوال

- أما إذا كان قبل الزوال فإنهم يقولون الليلة،

فلو كان قد حدث بهذا الحديث ضحى لقال أيكم رأى الكوكب الذي انقض الليلة، أما إن كان بعد الزوال فإنه يقول البارحة هكذا جرى عرف العرب، أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟

فقلت: أنا من القائل حصين ثم استدرك،

ثم قلت: أما أي لم أكن في صلاة: يعني أنه - رحمه الله - لشدة إخلاصه ومداراته للرياء لما قال أنا . خشي أن يتوهم القوم أنه كان قائماً يتهجده فاستدرك غير أي لم أكن في صلاة

وهذا يدل على عمق إخلاص السلف - رحمهم الله - وشدة توقيهم نقيض من يوهم غيره بأنه على عمل صالح وهو ليس كذلك كما قال الله - عز وجل -: (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) فقارن بين الحالين، قال غير أني لم أكن في صلاة ولكني لدغت

ما معني لدغت: يعني لسعت يعني أنه أضرت العقرب بشوكتها فأصابه السم منها غير أني لدغت ومعلوم أن اللديغ لا يتمكن من النوم لا يتمكن لأن السم يجري في عروقه ويجد له ألماً غير أني لدغت،

قال: فما صنعت: ماذا صنعت لما لدغت هذا مجلس علم يتحاور فيه السلف،

قلت: ارتقيت: يعني طلبت الرقية يعني طلبت من يرقيني

وما المقصود بالرقية: هو أن يبحث له عم من يرقيه بأن يقرأ عليه القرآن وينفث هذه هي الرقية

وسوف يأتي - إن شاء الله - باب مستقل في الرقى ليتين ما الجائر منها وما الممنوع،

فقال له: فما حملك على ذلك: يعني ما الذي جوز لك هذا الصنيع إذا كانوا لا يأتون ولا يذرون إلا ببينة - رحمهم الله -

قلت حديث حدثناه الشعبي: والشعبي إمام مشهور وهو عامر ابن شراحيل الهمداني كان قد ولد في خلافة عمر

وكانت وفاته بعد القرن بثلاثة سنين كانت وفاته سنة مئة وثلاثة من الهجرة - رحمه الله - وهو من أهل السنة

والحديث حملته ورواته ثقات، قال: وما حدثكم قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب

وبريدة بن الحصيب: صحابي من أجلة أصحاب رسول الله ﷺ كانت وفاته سنة ثلاثة وستين

أنه قال لا رقية إلا من عين أو حمة: وهذا الحديث يعني أراد به أنه مرفوع لأنه وصفه بأنه حديث فطوى يعني ذكر

قول بريدة أو رفع ذلك إلى النبي ﷺ

لا رقية: المنفي هنا الوجود أم الصحة أم الكمال؟ لاحظوا كل شيء ينفي فيكون المنفي محتملاً لهذه المراتب الثلاثة:

- إما نفي الوجود،

- وإما نفي الصحة،

- وإما نفي الكمال

فأول ما ينبغي أن يتوجه النفي إلى نفي الوجود فإذا قلت مثلاً لا أحد في الدار طيب إذا فدل ذلك على نفي الوجود،

إذا تعذر ذلك فنتقل إلى نفي الصحة كقول النبي ﷺ " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب " مع أنه ممكن أن يقوم شخص ويصلي بهيئة الصلاة المعروفة لكنه إن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فما المنفى حينئذ الصحة المنفى حينئذ الصحة، فنتقل إلى درجة في الصحة فإذا لم يمكن أن يكون المراد لا الوجود ولا الصحة انتقلنا إلى الكمال كقول النبي ﷺ " لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان " فالصلاة صحيحة لهذا الذي يتربط الطعام أو يدافع الأخبثين الصلاة صحيحة لكنها لم تصل درجة الكمال لأن ذلك يسبب له تشويشاً،

إذا في قوله في الحديث لا رقية إلا من عين أو حمة ينبغي أن نحملها على ما؟ الكمال أو الصحة نحملها على الصحة

لا رقية: يعني لا رقية جائزة صحيحة إلا من عين أو حمة طيب

وما العين: - عافانا الله وإياكم - هو ما يصيبه العائن بعينه بسبب تكيف نفسه تكيفا شيطانياً فيدخل الشيطان

ويؤثر على هذا المعيون

والعين حق ولا سبيل إلى إنكارها ومن أنكرها فقد كذب بالنصوص وناطح الواقع لأن من الناس من لا يعترف بهذه الأمور ويقول هذه خرافات ولا تصدقوا لا يؤمن إلا بالماديات والحسيات ولكن أنى ذلك وقد قال نبينا ﷺ "العين حق ولو كان يسبق القدر لكانت العين"

ولكن العين ليست طليقة مادية تصدر مثلاً من العين فتصيب المعان هي في الحقيقة تكيف شيطاني يقوم في قلب

الحاسد - والعياذ بالله - فيمتزج به تأثير الشيطان فيؤثر ذلك الأذى في هذا المعيون فقد يقتله وقد يمرضه - عافانا

الله وإياكم - هذا ثابت شرعاً واقع قدر،

ولهذا أمر النبي ﷺ لمن أعجبه شيء أن يبرك بأن يقول: ما شاء الله تبارك الله

ولكن في نفس الوقت - أيها الأخوة والأخوات - علينا أن نعتدل في هذا الأمر لأن من الناس من يخاف من العين

خوفاً مبالغاً فيه يصل إلى درجة الوهن ويسبب له إعاقة عن مصالحة فلا يكاد يخرج، ولا يدخل، ولا يقوم، ولا

يقعد، ولا يشتري، ولا يبيع، ولا يقرأ، ولا يحضر، ولا يغيب، ولا خوفاً من العين هذا خوف منافي للتوكل

والواجب على العبد أن يؤمن بقدر الله وأن يستدفع العين بالأوراد الشرعية والتوكل على الله - عز وجل - وأن

يتجنب ما يدعو إلى استفزاز النفوس الشيطانية لك أن تتحدث في نعم الله عليك لكن لا تبالغ في ذلك حتى تثير

النفوس يعني المحرومة أو المحجوبة فيقع فيها نوع من هذا التكيف الشيطاني فيلحقك منها أذى لكن في نفس الوقت أيضا لا يحجزك ذلك ولا يحجبك عن مصالحك وإلا وقعت في الذم من الجانب المقابل

أما الحمة: فالمقصود بها السم كسم العقرب أو الثعبان أو النحل هذه تسمى حمة والسبب والله أعلم في تسميتها بهذا أنها تؤدي إلى احتماء الجسم يعني يقع فيه نوع حمى وحرارة لأن دخول هذه المادة في البدن يؤدي إلى ذلك،

فقال: لا رقية إلا من عين أو حمة إذا فقد أثبت الحديث جواز الرقية من هذين الأمرين من العين ومن الحمة وهذا يدل على نفع الرقية في هذين الأمرين فمن أصابته عين فالتقى نفعه ذلك من أصابته حمة أي لدغة وارتقى فإنه ينفعه ذلك ولكن المقصود بالرقية الرقية الشرعية،

قال: أي سعيد بن جبير

قد أحسن من انتهى إلى ما سمع: ما شاء الله انظر أدب السلف - رحمهم الله - وحسن تحاورهم وأدبهم عند المناظرة لا يثرب بعضهم على بعض، ولا ينأى بعضهم على بعض، ولا يخطئ بعضهم بعضا وإنما يتبين الإنسان من صاحبه ويستفهم لماذا فعلت كذا ما حملك على كذا فإذا أجابه صاحبه فان ذكر خيرا حمده عليه كما صنع وقال:

قد أحسن من انتهى إلى ما سمع: يعني قد أصاب من عمل بما بلغه من علم كما صنع - رحمه الله - حصين ابن عبد الرحمن بعمله بهذا الحديث لكن سعيد بن جبير أراد أن ينقله إلى درجة أعلى وأكمل من هذا الأمر فقال - رحمه الله - :-

ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال عرضت على الأمم:

هذا العرض: المقصود به ليس العرض الحقيقي لأن الأمم قد فئيت ولكن هذا أمر قد جرى له ﷺ ليلة الإسراء عرض الله تعالى عليه الأمم يعني أمثالها وأشباهاها وهيئاتها في تلك الليلة العظيمة فعرضت عليه الأمم ﷺ

فأيت النبي: لا يقصد نبيا معين جنس النبي

ومعه الرهط: من الرهط؟ الجماعة دون العشرة قال الله تعالى: (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) فالرهط هم الجماعة دون العشرة،

والنبي ومعه الرجل والرجلان: يعني لم يتبعه إلا رجل أو رجلا،

والنبي وليس معه أحد: يعني نبي بعث في أمه ولم يتبعه رجل واحد

إذ رفع لي سواد عظيم: يعنى بينا أنا كذلك إذ رفع لي سواد عظيم

والمقصود بالسواد أو الأسود: الجماعة والأشخاص الذين يبدون من بعد وإذ رفع لي سواد عظيم

فظننت أنهم أمتي: وذلك لما أخبره الله تعالى من كثرة أتباعه إلى يوم القيامة وأن المؤمنين يمثلون من أهل الجنة ثلثي

أهل الجنة فوق في نفس النبي ﷺ بعد أن رأى الجماعات القليلة الرهط والرجل والرجلين ظن أن هؤلاء أمته

ف قيل لي هذا موسى وقومه: وذلك أن بني إسرائيل في ما مضى من الأزمان كانوا أكثر فموسى - عليه السلام - ومن

تبعه من الناس ومن تبع من تبعه من الأنبياء الذين عملوا بشريعة موسى - عليه السلام - أمم كثيرة

قال فنظرت فإذا سواد عظيم: يعنى سواد آخر وفي بعضها أنه أعظم من السواد الأول

ف قيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: ما شاء الله إذا أمة محمد فيهم هذه

النخبة المصطفاة وهذه الثلاثة المميزة ومعهم:

سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: يعنى لا يحاسبون ولا يعذبون

ثم نهض فدخل منزله: ذهب النبي هل كان نهوضه حاجة أم كان ذلك لحسن تعليمه للصحابة أراد لهم أن يفكروا

في هذا الأمر الله أعلم بمراده فدخل منزله .

فخاض الناس في أولئك: أي في أولئك السبعين .

فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ: جميع المتحدثين صحابة ومعنى قولهم يعني أرادوا السابقين

للإسلام الذين لهم صحبة قديمة مع النبي أو أكثر ملازمة للنبي ﷺ

وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام يعني توقع آخرون ممن لم يتلخ بشرك أبدا كعبد الله ابن الزبير،

ومن كان على شاكلته ممن ولدوا في الإسلام لم يدرك شيئا من أمر الجاهلية فعدوا ذلك منقبة

وذكروا أشياء: يعنى احتمالات أخرى فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه يعنى بما جرى بينهم من المحاوره،

فقال: هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون: - ما شاء الله - الله درهم هؤلاء

السبعين من جمع هذه الأوصاف الوصف الأول: لا يسترقون؛

ما معنى لا يسترقون؟: أي لا يطلبون الرقية لا يطلبون من أحد أن يرقهم إذا أصابهم شيء توجّهوا إلى الله تعالى بالدعاء أو أنهم رقوا أنفسهم لكمال توكلهم على الله - عز وجل - لا يطلبون من أحد شيئاً ولا شك أن هذا دليل التوكل وكمال التوحيد وبه يحصل تحقيق التوحيد،

وهذا هو سبب إيراد سعيد بن جبير هذا الحديث على من على حصين ابن عبد الرحمن لأن حصين بن عبد الرحمن استدل بحديث (لا رقية إلا من عين أو حمة) وأقره وحمد له أنه انتهى إلى ما سمع لكنه أراد لأن يرفعه إلى رتبة أعلى ولا تعارض بين الحديث الأول والحديث الثاني لأن هذا من الترقى في الكمال فقال كأنه يقول كان الأليق بك والأكمل لك ألا تطلب من أحد أن يرقيك وإنما ترقى نفسك بنفسك لأن النبي ﷺ وصف السبعين ألف بأنهم لا يسترقون فهم لكمال توكلهم ورضاهم بقدر الله - عز وجل - لا يلجأون إلى مخلوق ولا شك - أيها الإخوان - أن هذا من كمال التوحيد لنستكمل بقية الأوصاف،
قال: "ولا يكتونون": لا يكتونون أي لا يسألون ولا يطلبون من أحد أن يكويهم .

والكي: معروف آخر الطب الكي وهو علاج ثابت أثبتته النبي ﷺ قال (لا أجد فيما تتداوون فيه إلا في ثلاث شربة من عسل أو لدعة من نار أو شرطة من حجام) أو كما قال النبي ﷺ فأثبت النبي ﷺ الشفاء في هذه الأشياء لكنه قال وأنهى أمتي عن الكي ﷺ هذا النهي حملة العلماء على نهى الكراهة أو خلاف الأولى بدليل أن النبي ﷺ كوى بعض أصحابه كوى أسعد بن زرارة وهو من الأنصار السابقين إلى الإسلام، وكوى النبي ﷺ أبي ابن كعب فالكي نافع جائز فكوى بعض أصحابه من ذات الشوكة

ولأجل ذلك قال بعض العلماء إن الكراهة تزول إذا تعين الكي شفاء لهذا الداء مثل ذات الجنب مرض معروف تلتصق فيها الرئة بالأضلاع فلا يتمكن الإنسان من النفس وهي حالة معروفة عند الأطباء هذه الحالة بإذن الله تعالى إذا عوملت بالكي انطلق هذا الالتصاق مباشرة وقد رأيت هذا بعيني رأيت بعض من أصيب بهذا المرض وهو ذات الجنب ما أن يمسه الكي حتى ينطلق صدره ويعود كما كان سوياً طبيعياً بإذن الله .

فقال بعض العلماء تكون الكراهة في ما لم يتعين فيه الكي علاجاً

وأما ما يتعين فيه الكي علاجاً وكان محتملاً فلا،

ويمكن أن نقول إن الوارد عن النبي ﷺ في هذا في أمر الكي كما قال ابن القيم قال : أنه ورد عنه فعله ﷺ وورد عنه النهي عنه، وورد عنه الثناء على تاركه، وورد عنه جوازه فيكون ذلك من باب المراتب فلا شك أن من تركه ترك الكي فقد استكمل أحد شروط السبعين ألف طيب،

قال: "ولا يتطيرون": لا يتطيرون أي لا يتشاءمون بالطيور خلافا لأهل الجاهلية إذ كان أهل الجاهلية يتشاءمون من السوانح والجوانح فيما سيأتينا - إن شاء الله - في باب مستقل في باب الطيرة فإذا رأى أحدهم مثلا بومه أو غرابا وهو يريد سفرا صرفه ذلك عن سفره تشاء ما بأن هذه السفرة غير موفقة بسبب ما رآه فهذا من أمر الجاهلية لأنهم أثبتوا سببا لم ينسبه الله سببا لا حسا ولا شرعا فما شأن الطيور بالأقدار فلهذا قال ولا يتطيرون

والمقصود بقوله "لا يتطيرون": ليس المقصود أنهم لا يقع في قلوبهم طيرة لكنهم لا يتبعونه ولربما وقع في نفوسهم شيء لكنهم يطردهونه كما قال ابن مسعود : (وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل) يعني ربما وقع في نفس الإنسان شيء قال الله يستر والله ما أدري عن هذه السفرة أخشى أن يكون فيها ما يسوء بسبب أمر لا علاقة له فيقع في نفسه شيء فالمؤمن المتوكل هو الذي لا يصرفه التطير عن حاجته فليتوكل على الله ويمضي ولهذا قال ابن مسعود وما منا إلا يعني إلا وقع في نفسه شيء ولكن الله يذهبه بالتوكل ثم ختم ذلك بقوله **وعلى ربهم يتوكلون** التوكل قد مر بنا أنه اعتماد القلب على الله في جلب المصالح ودفع المفاسد مع فعل الأسباب فهم يتوكلون على الله - عز وجل - في حين لا يمنعون الأسباب

وبناء عليه فهل المقصود من هذه الأوصاف أن يدع الإنسان الأخذ بالأسباب ؟ لا بل إن هؤلاء السبعين قد أخذوا بأعظم الأسباب فهم لم يتركوا الأسباب وإنما تركوا نوعا من الأسباب أو بعض الأسباب تركوا الاسترقاء، وتركوا الاكتواء، وتركوا التطير الذي لا أصل له، وأخذوا بأعظم الأسباب وهو التوكل على الله فمن التوكل على الله أن يلج العبد على ربه بالدعاء ويتوجه إليه بكليته موقنا بأنه لا يكشف الضر إلا هو، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، لا يدفع السيئات إلا هو كما قال الله تعالى : (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) فهذا من أعظم الأسباب

وبهذا يتبين أن هذا الحديث لا يخالف مقتضيات الشريعة ومقاصدها الدالة على الأخذ بالأسباب فترك الأخذ بالأسباب عجز، والتعلق بالأسباب دون المسبب شرك، والمطلوب هو أن يأخذ العبد بالأسباب مع تعلق قلبه **بمسبب الأسباب** فهذه مسألة دقيقة في الواقع

من أراد أن يندرج في هؤلاء السبعين ألف فليحقق هذه الأوصاف التي بينها النبي ﷺ فلا يسترقي

لكن هل من لازم هذه الأوصاف ألا يتداوى؟ لا. لأن التداوي أوسع من الرقية أو الكى ولهذا

اختلف العلماء في المذاهب الأربعة في التداوي:

يعني ما حكم التداوي أن يذهب الإنسان للعلاج أن يذهب إلى المستشفيات

- فذهب [الإمام أحمد] - رحمه الله - في المشهور عنه إلى أن التداوي مكروه وتركه أولى وربما قال ذلك بناء على هذا الحديث،

- وذهب [الشافعي أو الشافعية] أن التداوي مستحب،

- وذهب [الأحناف] إلى أن التداوي واجب لورود حديث (تداووا يا عباد الله فان الله ما أنزل داء إلا وأنزل له دواء)

- وذهب [مالك] - رحمه الله - إلى استواء الأمرين يعني الإباحة إلا أن يكون ذلك مصحوبا بكراهة

وعند ذلك ذهب الإمام أحمد - رحمه الله - إلى أن التداوي مكروه وتركه أولى وذهب الشافعي إلى إن التداوي

مستحب وذهب أبو حنيفة إلى أن التداوي واجب أو يقرب به من الوجوب وقال مالك - رحمه الله - بالإباحة واستواء الأمر

والذي يظهر والله أعلم أن التداوي مطلوب لا سيما إذا كان المرض يجزه عن مصالحه ويفوت عليه مقاصد دينية

ودنيوية كما هو الغالب ففي هذا ينبغي للإنسان أن يستدفع هذا الأمر وليس في هذا مناقضة للقدر بل كما قال عمر

- رضي الله عنه - لما وقع طاعون عمواس في الشام فلم يدخل دمشق فكتب إليه أبو عبيدة عامر ابن الجراح كأنها

يعتب عليه وقال " يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله، فقال: يا أبا عبيدة لو قالها غيرك يا أبو عبيدة نفر من قدر الله إلى

قدر الله " فكون الإنسان يفعل الأسباب ويستدفع القدر بالقدر هذا لا يعد منافيا للتوكل تنمة هذه القصة قال وعلى

رهبهم يتوكلون

فقام عكاشة بن محصن: هذا عكاشة بن محصن وهو عكاشة بن محصن الأسدي - رضي الله عنه - كان من السابقين

إلى الإسلام وهو ممن هاجر وشهد بدرا وكان قد استشهد في قتال الردة في السنة الثانية عشره من الهجرة مع خالد

ابن الوليد في قتاله لأهل الردة فقام عكاشة ابن محصن،

فقال فقال: ادعو الله أن يجعلني منهم: انظر هذه المبادرة ما أحسن المبادرة وكم تأتي على صاحبها بالخير أما التواني فإنه يفوت الإنسان الخير العظيم،

قال: أنت منهم: يا لهذه المنقبة،

ثم قام رجل آخر فقال: ادعو الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة: هذا الرجل الآخر غير مسمى قال بعض الشراح إنه كان من المنافقين وهذا لا يصح ولا يظهر فقال النبي ﷺ سبقك بها عكاشة لا لكون ذلك الرجل منافقا إذ لو كان منافقا ما حرص على هذا الخير ولكن النبي ﷺ خشي أن يفتح الباب ثم يقوم من لا يستحق هذه الرتبة فأجاب بهذا الجواب البديع اللبق المؤدب بل إن في هذا الجواب ما يشعر هذا الرجل بأنه قد يدخل في هذه الفضيلة لماذا؟ لأنه قال سبقك بها فعكاشة سابق وأنت لاحق ربما أشعره بهذا فكان في ذلك تطيبا لنفسه

◆ فهذا الحديث حديث عظيم مناسب لهذا الباب

إذا أنه يتضمن تحقيق التوحيد بما بترك الاسترقاء والاكْتواء، وعدم التطير، وكمال التوكل على الله وهذا كله يدل على تحقيق التوحيد وأن من حقق التوحيد فإنه يدخل الجنة كما في ترجمة الباب

أنبه أيها الأخوة على أنه

◆ ليس من لازم قول النبي ﷺ "لا يسترقون" ليس من لازم ذلك أن يرد الإنسان لمريض بل يرقيه إن كان إنسان مريضا وجاء إليه أحدا فرقاه من غير طلب منه فليس من لازم ذلك أن يقول لا لا تفعل لا دعه وشأنه أنت لم تطلب منه ذلك فهو فعله من تلقاء نفسه فلا ترده ولا تعد بذلك خارجا من هذه الفضيلة كما أنبه أيضا على أنه قد روي الحديث بلفظ لا يرقون وهذا تصحيف ووهم من راويه، واللفظ المحفوظ لا يسترقون .

◆ فان للحديث حقيقة جملة من الفوائد

لعله يأتي ذكرها في المسائل فلنشرع في قراءة المسائل فيما أمكننا من الوقت ونتم الباقي بعد الأذان وليعذرنا الأئمة والمؤذنين طيب قال فيه مسائل :

- الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد

[الشرح]:- إذا الناس في التوحيد مراتب إبراهيم - عليه السلام - كان أمة فقد حاز أعلى المراتب ومن المؤمنين من هو دون ذلك

- الثانية: معني تحقيقه

[الشرح]:- أي قيام القلب بالعبودية الخالصة لله - عز وجل - وعدم التعلق بما سواه

- الثالثة: ثنائه سبحانه على إبراهيم - عليه السلام - لأنه لم يكن من المشركين

[الشرح]:- ففي هذا دليل على أن من أخص أوصاف المؤمنين البراءة من المشركين

- الرابعة: ثنائه على سادات الأولياء

[الشرح]:- أين ذلك في الآية الثانية وهي قوله تعالى (والذين هم بربهم لا يشركون)

- الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد

[الشرح]:- لحديث الباب حديث حصين، وحديث سعيد بن جبير عن ابن عباس لا يسترقون ولا يكتوون

- السادسة: ختم قول جامع لتلك الخصال هو التوكل

[الشرح]:- لأنه ختم ذلك بقوله وعلى ربهم يتوكلون فالتوكل هو اعتماد القلب على الله فبه يحصل تحقيق التوحيد

- السابعة: عمق علم الصحابة

[الشرح]:- معرفتهم أن ذلك لم ينال إلا بعمل لأن الصحابة رضوان الله عليهم لما ذكر لهم النبي ﷺ هؤلاء السبعين ألف خاضوا في تحري هؤلاء فقالوا هم الذين ولدوا في الإسلام لم يقع منهم شرك، وقال بعضهم مثلاً أنهم الذين صحبوا النبي ﷺ فعلقوا الأمر على أمور عملية وأن ذلك لا ينال إلا بعمل بخلاف أهل الإرجاء الذين يقللون ويضعفون من أمر العمل .

- الثامنة: حرصهم على الخير

[الشرح]:- لأنهم ما سألوا ذلك إلا لأنهم يريدون التأمي وذلك أيضا في حرص عكاشة بن محصن على الخير

- التاسعة: فضيلة هذه الأمة كما وكيفا

[الشرح]:- أما كما ورد في بعض الروايات من أنه سواد أعظم من السواد الأول، أما في النوع فلأن فيهم هؤلاء السبعين ألف بل قد ورد في بعض الروايات إن مع كل واحد من السبعين ألف سبعين ألف أيضا .

- العاشرة: فضيلة أصحاب موسى

[الشرح]:- وذلك لكثرتهم وتميزهم عن بقية الأمم التي لم تتبع أنبيائها

- الحادي عشر: إثبات عرض الأمم عليه الصلاة والسلام

[الشرح]:- وهذه كرامة لنبينا ﷺ وآية من آيات نبوته وقد قدمنا أن ذلك كان ليلة المعراج

- الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها

[الشرح]:- وذلك لقول النبي ﷺ فرأيت النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرهط، والنبي وليس معه أحد إذا الأمم تحشر مع أنبيائها

- الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء

[الشرح]:- قال الله تعالى عن نوح (وما آمن معه إلا قليل) وقال ها هنا والنبي وليس معه النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرهط

- الرابعة عشر: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده النبي وليس معه أحد

- الخامسة عشر: ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة

الله أكبر علمنا بما اخبر النبي ﷺ عن الأمم السابقة عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة، العبرة بالحق كما قال ابن مسعود لميمون ابن مهران الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك فلا تغتر بالكثرة فاعتبر بموافقة السنة

- السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمة

[الشرح]:- لما ساقه عن الشعبي من حديث بريده ابن الحصيب لا رقية إلا من عين أو حمة فدل ذلك على الرخصة في هذين الأمرين

- السابعة عشرة: عمق علم السلف وذلك لقول سعيد بن جبير قد أحسن من انتهى إلى ما سمع فلم ينصب الخلاف .

[الشرح]:- وأرجوا من إخواني طلبة العلم أن يلتقطوا هذه الفائدة وأن تقع منهم بمنزلا:

أنه ليس من شأن طلبة العلم أن يضربوا النصوص بعضها ببعض وأن ينصبوا الخلاف بين الأئمة وأن يثيروا المشاجرات وأن يكون المقصود هو الضراوة وقمع الرؤس بعضها ببعض ونحو هذا لا السلف رحمهم الله يعلمون أن ما يصدر عن الشرع فإنه يكون على وجه لا يعارض بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا فلهذا رأى سعيد بن جبير أن فيما أخبر به النبي ﷺ من حديث بريدة ابن الحصيب على وجهه ولكن ما حدثه عنه ابن عباس رتبة أعلى منه فلا تعارض بين الأمرين،

ولهذا لا تلجأ إلى القول بالنسخ إلا مع عدم مكان الجمع من شروط القول بالنسخ العلم بالتاريخ وعدم إمكانية الجمع فلا ننسخ نصا بنص إلا إذا تعذر الجمع بين النصين وعلما أيضا بالتاريخ حتى نعرف أيهما المتقدم وأيها المتأخر، وبعض طلبة العلم أصلحهم الله يكون عندهم يعني نزعة إلى نصب الخلاف فيقولون قال الشيخ فلان كذا فرد عليه فلان بكذا ورد عليه فلان بكذا هذه أيها الأخوة ليست نزهة ولا هواية وليس الخلاف من دأب أهل العلم يعني ليس الخلاف مقصود لذاته لكن قد يختلف أهل العلم ويكونوا في اختلافهم بيان وتجربة للحقيقة فإذا عرف بعضهم من بعض الحق اتبعوه لكن لا يكون المقصود هو إثارة الزوابع والمشاجرات والتفريق بين المؤمنين .

- الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه :

من أين ذلك؟ من قوله: (غير أني لم أكن في صلاة) فله دره .

- التاسعة عشرة: قوله (أنت منهم) علم من أعلام النبوة .

لا شك هذا يدل على نبوة نبينا ﷺ إذ كيف علم نبينا ﷺ أن عكاشة من هؤلاء السبعين إلا أن الله عز وجل علمه ليس النبي ﷺ هو الذي يوزع الهبات والأعطيات . هذا من الله عز وجل فهذا دليل أن الله أعلمه أن عكاشة منهم فكان هذا علم من أعلام النبوة

- العشرون: فضيلة عكاشة بن محسن .

ويا لها من فضيلة وما أسعده وما أهناه ان حصل على هذه الشهادة في حياته .

- الحادية والعشرون: استعماله المعارض:

أندرون ما المعارض؟ جاء في الأثر (إن في المعارض مندوحة عن الكذب)، الكذب: هو الإخبار بخلاف

الواقع ، والمعارض : نوع من التورية يعني إجابة الحكيم التي يكون فيها نوع من التورية وقد يلجأ إليها المرء لحاجة فالنبي ﷺ عرض ولم يصرح ، التعريض بمقابل التصريح فهو نوع من التلميح فقال : سبقك بها عكاشة وهذا نوع من المعارض بدل أن يقول لست منهم أو أن يقول أيضا أنت منهم استعمل المعارض فلا بأس أن يستعمل الإنسان المعارض إذا احتاج إلى ذلك لكن لا يكثر من المعارض والتورية لأن هذا يؤدي إلى عدم الثقة بكلامه لهذا - يا أخوة - ينبغي للإنسان دوما أن يستعمل الصدق، والوضوح، والبيانة فيما يقول، وما يأتي، وما يذهب لكن إن أُلجئ في بعض الأحوال واضطر فلا بأس أن يعرض مثل ما وقع من النبي ﷺ يوم بدر حينما خرج وأبو بكر يتحسسان عن قريش فوجدوا رجلا فسألاه يعني عن قريش وعددهم فقال ممن أنتما لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما قال النبي ﷺ إن أخبرتنا أخبرناك فأخبره بعدة قريش قال فممن أنتما قال نحن من ماء ثم انصرفا فجاء الرجل يقول من ماء من ماء كذا يتساءل والحقيقة أن النبي ﷺ وأبا بكر من ماء لأن كل شيء قد خلق من ماء فلا بأس بالتورية والتعريض عند الحاجة وأما ما سوى ذلك فالأصل الصدق .

- الثانية والعشرون : حسن خلقه ﷺ وجميل

[الشرح]:- إن تأتي هذه الفائدة وقد قدمنا في مستهل درسنا بدعوة طالب العلم إلى حسن الخلق فقد كان نبينا ﷺ لا يكاد يجبه أحدا في وجهه فلما قام الرجل فقال وأنا ادعوا الله أن يجعلني منهم لم يقل اجلس لست منهم قال سبقك بها عكاشة فهذا جواب يدل على حسن الخلق ليس فيه تجريح ولا خدش للسائل وقد كان النبي ﷺ كما ذكرت لكم لا يكاد يجبه احد في وجهه ويخدش مشاعرة حتى أنه مرة دخل عليه رجل من أصحابه وعليه ثياب فيها صفرة وكان النبي ﷺ ينهى عن لبس الصفرة للرجال نهى عن لبس الأحمر والمعصفر فكره النبي ﷺ ذلك فلما ولى الرجل قال النبي ﷺ لصحابه لو أمرتموه أن يغير عنه هذه الصفرة، قال الراوي وكان لا يكاد يجبه أحد في وجهه فهذا يدل على اللطف وحسن معاشرته الخلق ولا شك أن في الباب فوائد أخر

والله أعلم؛